حكايات من الإمارات

تجمع الأجداد والأحفاد

تأليف الدكتور سالم عبدالله النعيمي



قراءة مشتركة في الحياة الإماراتية وذاكرة أهلها

إهداء

إلى كبار المواطنين الذين نحب صحبتهم، وإلى الجدات والأجداد الذين ما زالت لديهم أسئلة وأحلام.

إلى الصغار الذين يسألون، وإلى من يمنحونهم وقتاً للحديث.

وإلى كل أسرة تفسح في يومها مكاناً لقراءة مشتركة وحكاية جديدة.

كلمة المؤلف

أردت لهذا الكتاب أن يجد مكانه بين يدي شخصين يقرآن معاً. قد يكونان جدّاً وحفيداً، أو جدة وحفيدة، أو طفلين مع أحد كبار أسرتهما. يجمعهما الفضول، وتمنحهما القراءة بداية للحديث.

في الإمارات تجارب كثيرة تستحق أن نفهمها من قرب. هناك العمل في البحر، والعناية بالنخل، ومعرفة الصحراء، والحياة في الجبل. وهناك المدرسة والوظيفة والحي والهاتف والصداقات. وفي كل تجربة أشخاص لهم اختياراتهم، وما يحبون وما يخشون وما يرغبون في تغييره.

حرصت على أن تكون اللغة سهلة، وأن تجد الجدة مكانها في الحكاية بصوتها ورأيها. وأن يحضر الطفل بما يشغله اليوم، لا بدور المستمع وحده. فلا يكتمل الحوار إذا كان أحد الطرفين يعرف كل شيء، والآخر لا يفعل إلا الموافقة.

هذا كتاب اجتماعي معرفي، تتخلله مشاهد متخيّلة لأسرة إماراتية. أما المعلومات العامة فقد ذكرتُ مصادرها في آخره. وتبقى تجارب الأسر متنوعة، وقد تختلف أسماء الأشياء وطرق استعمالها من مكان إلى آخر.

أرجو أن يجد القارئ في الصفحات ما يدعوه إلى سؤال أحد أهله عن نفسه. وربما يسأل الكبير حفيده أيضاً: ماذا تحب؟ وما الذي يشغل بالك؟ وعندها يكون للكتاب حديث يمتد بعد إغلاقه.

الدكتور سالم عبدالله النعيمي

الباب الأول

البحر وأهله

للبحر حكايات عمل، وللبيوت المطلة عليه حكايات انتظار وتدبير. نبدأ بالسؤال عن الناس وراء القارب والصورة والأداة.

الفصل الأول

يوم ركبوا البحر

كان حمد يقلب ألبوم الصور مع جدّه عبدالله. توقف عند صورة لقارب خشبي، وأشار إلى رجل يقف قربه.

«يدي، هذا أنت؟»

قرب الجد الصورة، ثم ابتسم: «لا. التقط أبوك هذه الصورة في زيارة إلى موقع تراثي. كل رجل في صورة قديمة يصير أنا؟»

ضحك حمد، ثم سأل: «إذن من كان يركب البحر في عائلتنا؟»

قال الجد: «ركبت البحر في رحلات، لكنني لم أعمل غواصاً على اللؤلؤ. سمعت من أبي حكايات عن العمل في البحر. بعض التفاصيل أذكرها، وبعضها نحتاج أن نسأل عنه.»

أخرج حمد هاتفه: «أسجلك؟» قال الجد: «دعنا نتحدث أولاً. وبعدها نتفق على ما نسجله.» وضع حمد الهاتف جانباً، وتأمل الحبل الظاهر في الصورة. «من كان يمسك هذا؟ ومن كان ينتظرهم في البيت؟» قال الجد: «لكل واحد من السؤالين حكاية.»



البحر يفتح أسئلة عن الناس الذين عملوا فيه.

عمل يحتاج إلى أكثر من يد

كان الغوص على اللؤلؤ من وجوه العمل البحري في المنطقة. ولم يكن نزول الغيص، وهو الغواص، إلى الماء عملاً منفرداً. فوق السفينة من يتولى الحبل ويساعده على العودة، وهو السيب. وللنوخذة مسؤولية قيادة العمل. وتختلف بقية الأدوار بحسب السفينة والرحلة. [١]

حين نفهم الأدوار، نرى فريقاً يثق بعضه ببعض؛ فالغيص تحت الماء كان يعتمد على السيب الذي يمسك حبله. وكان العمل شاقاً وخطراً، لا مغامرة سهلة. فالقارب الذي يعجبنا في صورة كان مكان رزق وتعب لأناس حقيقيين.

سأل راشد، وقد اقترب من الألبوم: «وهل كانوا يجدون لؤلؤة في كل محارة؟» ضحك الجد: «لا يا ولدي. كان أبي يقول إنهم يفتحون محاراً كثيراً، ولا يجدون اللؤلؤ إلا في القليل منه. ولهذا كانت اللؤلؤة غالية.» كتب راشد الجواب في دفتره، وكتب تحته: «سمعته من يدي، وسمعه يدي من أبيه.»

كيف نقترب من حكاية قديمة

تساعدنا الكلمات على فهم الأدوات. الفطام مشبك يغلق الأنف أثناء الغوص، والدّيين سلة من الشبك يجمع فيها الغيص المحار. ونستطيع أن نرى

هذه الأدوات في المتاحف، ونفهم كيف استُعملت، دون أن نجرّب الغوص بها. [١]

ومن المفيد أن نعرف من أين جاءت الحكاية. هناك فرق بين «رأيت» و«سمعت من أبي» و«قرأت». حين نكتب هذا الفرق نحترم الراوي، ونساعد من يقرأ بعدنا. وإذا لم نعرف تاريخ الصورة، نكتب: «التاريخ غير معروف».

أغلق حمد الألبوم، ثم فتحه من جديد عند الصفحة نفسها. قال: «كنت أريد أن أعرف اسم القارب. الآن أريد أن أعرف أسماء من عملوا عليه.» أومأ الجد: «نبدأ بمن نستطيع الوصول إلى خبره.»

قالوا الأوّلين

«على قدر أهل العزم تأتي العزائم» — بيت للمتنبي يردّده الكبار: على قدر همّة الإنسان يكون عمله.

نتحدث معاً

ما أول زيارة إلى البحر تتذكرها؟ وهل توجد في أسرتنا صورة أو أداة مرتبطة به؟ وما الذي نعرفه عنها فعلاً، وما الذي نحتاج أن نسأل عنه؟

نجرب معاً

اختاروا صورة واحدة. اكتبوا ما ترونه، ثم ما تعرفونه من صاحبها، ثم سؤالين للبحث. إذا لم تعرفوا اسم شخص فيها، اتركوا مكان الاسم فارغاً. يمكن إكماله لاحقاً.